صدى الحرية

غيابهم ترك أثراً في أفئدة ذويهم ... تتأرجح المشاعر بحلول العيد بين حسرة الفراق والشوق، مع التسليم والرضا بقدر الله... هذا المزيج يجعل من الألم بشرياتٍ لأم الشهيد.. لزوجته... لأبنائه... فالغائب حيٌّ يرزق بوعد الله له، بل لعله تحول إلى اليد الممتدة لتدخل الأحباب إلى جنةٍ باع نفسه من أجلها، هنا يصبح العيد بمفهومٍ أكثر رفعةً وسمواً... فهنيئاً للشهيد وأهله.

فريق قدسيا الإعلامي QMT

* أسبوعية * ثورية * اجتماعية * توعوية * منوعة *

أخلاق الثورة.. وثورة أخلاق

جيش " موحد "لاستعادة الثورة..!!

لمن العيد اليوم؟!

قلم للثورة... وآخر للحب

على طريق الحاجّة أم محمود .

من سرق فرحة العيد

freequd@gmail.com أو facebook / sadaALhoryeh

صدى الحرية
العدد
71

أخلاق الثورة.. وثورة أخلاق

ليسا مجرد مصطلحين، بل إنها ما انقسم بشأنه الناس، فيما كان من المفترض أن يتمم أحدهم الآخر والانطلاقة كثيراً ما ندندن حولها فهي القاعدة والأصل الواجب البناء عليه في مسيرة ثورتنا ((إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم))، والقاعدة الثانية من وحي السنة الشريفة ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))، فالتغيير والأخلاق متلازمان بلا شك، ولا يمكن لأحدٍ أن ينسى أخلاق الثوار منذ الحراك السلمي للثورة، بل وحتى مع بدايات الانتقال إلى حمل السلاح، فالسائد في الأذهان أن للثورةِ قيمٌ وأخلاقيات ملزمة، تشترك بها جميع ثورات الأرض، لا يمكن بحالٍ من الأحوال تجاوزها وتخطيها، وهو ما اعتقده الناس أنه غائب عن واقع الثورة السورية، وتلك فرضيةٌ – يمثلها الرومانسيون – يلزمها البحثُ مطولاً، إذ إن واقع المجتمع السوري خلال العقود الماضية، كان منغلقاً على خوفٍ من سلطة، ودراساتٍ تكاد تكون معدومة للواقع الاجتماعي، والترابط أو السلم الأهلي، أو ما اعتدنا على ترداده ((التلاحم))، والذي بقي شعاراً بلا ممارسة وبلا مضمون، وما يمكن أن نؤكده أن غياب أي مظهر من مظاهر العمل الاجتماعي المنظم لا بد أن يظهر في مثل هذه المراحل من عمر المجتمعات، وينعكس بصورة سلبية على أي رغبةٍ بالتغيير، وظهور مقاومة طبيعية له، ويزيد من ذلك ممارسات فوضوية تنشأ بالضرورة في حال غياب العمل المنظم، وما إن بدأت حركة التغيير حتى انكشفت العيوب وبصورة جلية في المجتمع الذي قد يصفه البعض من ــ الحياديين والرماديين أو المنسحبين وحتى المرجفين ــ بالهمش، وبدورنا نطرح تساؤلاتٍ من شأنها وضع تصوراً لما نحن مقبلون عليه ... كيف السبيل للخروج من هذا الواقع؟ ما هي الوسائل المتاحة؟ لماذا وصلنا إلى هنا؟

في المجمل هذه الأسئلة هي التي توصلنا للمخرج مما آلت إليه الأمور على الأقل في مدينتنا، فما وصلت له الأمور في المدينة كان يستدعي تصرفاً سريعاً، يتجاوز البيانات الورقية إلى فعلٍ واتفاق مبرم يلزم الجميع مهما كانت صفته بالوقوف على حدود الأخلاق والقيم الإسلامية والأعراف المرتبطة بأخلاقيات المجتمع السوري الصحيح، كما أن تشخيص الواقع، ورسم ملامح جديدة لمستقبل المدينة، ووضع خطة واضحة للتعامل مع هذا الواقع، ضمن مرجعية واحدة قوية، والمتابعة عن كثب، جميعها خطوات لازمة لردم الهوة ورأب الصدع بين الثوار والناس لمتابعة مسيرة الثورة.

فما الذي أوصل الحال إلى هنا؟

تجاوزات فاقت حدود المعقول، وفوضى أحد مظاهرها انتشار السلاح واستخدامه وسيلة للترويع وفض أي نزاع مهما بلغ من الصغر، وغيرها من السلوكيات التي يندى لها الجبين، مع غياب السلطة الرادعة ومع ما يحمله السلاح من قوة لحامله في مجتمعٍ لم يعرف أو يشهد تنظيماً معيناً للتعامل معه يودي إلى نتائج كارثية.

المشاهد السابقة خيمت على المدينة، ولم تنجح كل النداءات في الحد منها، فالناس بلا ريب بلغت حد انعدام الثقة بأية حلول ممكن أن توضع لاسيما وأنها لن تعدو كونها ((بياناتٌ)) تصدر عن إحدى الجهات الثورية، ولعلنا لا نزال نستحضر الكثير من حالات توحي بالفوضى هذا الإيحاء دفع بالبعض للميل والعدول عن رأيهم في إمكانية حلول بديل يعيد الأمان إلى المدينة، وما ((مكتب الشكاوي)) الذي أنشئ مؤخراً إلا لسد هذه الثغرة، لكن بقي طيلة المدة السابقة رهناً لحالة ((الالتفاف العائلي)) التي سيطرت على الناس في المدينة، وليكلل رمضان هذا العام بمبادرة التقى عليها قادة المجموعات وتم الخروج ببيان يشكل في هذه المرة أهدافاً ممكن أن تمثل خطة عمل لمكافحة هذه المظاهر التي سببت مصدر قلقٍ وإزعاجٍ للناس، علها تسهم بالحل، لكنها وحدها لن تشكل عامل نجاح ما لم تلقى قبولاً وتفهماً وتعاوناً من الأهالي، ونبذ العصبية التي لا تزال صورةً من صوره.

وهنا تأتي الإجابة عن السؤال الثاني، وهو السبيل للخروج من النفق المظلم والقاعدة هنا نص الآية الكريمة:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

فهي تعطي لنا طريقاً ومرجعيةً للحيلولة دون نشوءَ مزيد من التجاوزات والمظالم التي ملها الناس، الثوار قبل غيرهم.

ثورة أخلاق، وأخلاق ثورةٍ مرةً أخرى صيغتان بقدر ما تمثلان من بساطةٍ بقدر ما تحتاجُ لعملٍ دؤوب جاد، فهي ثورةٌ قامت لرفع الظلم وإنهاء حالة الفساد التي سادت عقوداً طويلة من حكم الأسد، فهي أولاً ثورة أخلاق، أما أخلاق الثورة فما هي إلا نتاجُ مجتمعٍ غاب عنه حقيقة ((التلاحم)) الذي تحدثنا عنه، وأما الصورة التي أعادت لأذهان الناس ممارسات النظام ، فما هي إلا تعبيرٌ عن حالة الابتعاد عن أدوارنا في هذه الثورة، وترك الساحة وإدارتها لغير المؤهلين لذلك، وليس العيب في هؤلاء، بل إن كل العيب فيمن انسلخ عن أخلاق الثورة، وخلد إلى صفحات الإنترنت.

وأما عن الوسائل المتاحة، فهي كثيرة، أولها كما أسلفنا الجدية في التعاطي مع هذه الوثيقة ((ورقة العمل))، ومن قبل الجميع بلا استثناء، والمتابعة المستمرة التي هي عماد هذا العمل ورأسه، ولا نهمل مراقبة الله تعالى فهي أساس استرجاع الثقة من الشارع بالثورة وأهميتها.

وبدورنا نطالب بالتعجيل بهذه الخطوات، ونجعلُ من أنفسنا صدىً لهذه المبادرة، ونتلاقى مع هموم الناس لعلنا نكون جزءاً من مشروع متكامل يحقق إطاراً للوحةٍ تمثل بصدق وموضوعية قيم وأخلاق الثورة، بل أيضاً حال الجهاد التي أكرمنا الله تعالى بها في زماننا هذا.

لمن العيد اليوم؟!

عيدُ الفطرِ هو عيدُ المسلمين، الذين ينبغي أنْ يجمعَهم على الفرح عند الفرح، وأن يُؤلِّفَ بين قلوبهم أو يُؤلِّفَ بين جراحهم عند الشَّدائد، فكأنَّهم البنيانُ المرصوصُ في المودَّة والتَّراحم، هذا هو المفهومُ الإسلاميُّ للعيد، لكنَّ العيدَ أضحى فارغاً من هذا المضمون، وصار عيدُ الفطر يمثِّلُ حالة الانفصام العربيِّ في الهويَّة والانتماء، أعني انفصامَ الشَّخصيَّة العربيَّة عن ذاتها وعمَّا حولها، فنرى أنَّ بعض العربِ المُتْرَفِينَ باتوا منفصلين عمَّا يعيشه إخوانهم العربُ المسلمونَ وعمَّا يجري في بلادهم، وصار شأنُ التَّعاطي فيما يجري في سوريَّة أو فلسطين مجلبةً للتَّكد المنهيِّ عنه في مجالسهم، كمثلِ الذي يذكِّرهم بالموت وهم في غمرةٍ يضحكون فيهدم لذائذَهم، ودعوني أقولُ بكلِّ جرأةٍ إنَّ بعضَ الشُّعوب العربيَّة لم يَعُدْ يَعْنِيها أَمْرُ ما يجري في سوريَّة أو فلسطين، وهذا ما جعلَني أسألُ :لمن العيد اليوم؟.!

هلْ هو للشَّعب السوريِّ الذي تُرِكَ وحيداً فشرَّدَهُ بشَّار الأسد وهَجَّرَهُ، أَمْ لأطفال سوريَّة الذين قُتِلَ آباؤهم؟ !!هل هو للبيوت السوريَّة المكلومةِ التي هَدَمَها جيش الأسد الخائن فوقَ رؤوسِ أصحابِها؟ !هل هو لِغَزَّةَ العِزَّة التي باتَتْ مخذولةً من نظام البعث المقاوم الممانع للشَّرف والكرامة.

ما زلنا نتذكَّر حين قامت الثَّورة السوريَّة كيفَ اتَّهَمَتْ وسائلُ الممانعةِ والمقاومةِ في قناة الإخباريَّة السوريَّة وفي قناة الدُّنيا كلَّ الثُّوَّار السُّوريين الأحرار بأنَّهم عملاء لإسرائيل وللمشروع الغربيِّ الصهيونيِّ، وفي هذا الظَّرف السياسيِّ الرَّاهن أتساءَلُ :من العميل؟ !أَهُوَ هذا الشَّبابُ السوريُّ الحرُّ أم الجيشُ السوريُّ العقائديُّ حامل لواء المقاومة ضد إسرائيل على طريقة العواهر المستشرفاتِ في مواخير بشَّار الأسد وأتباعه وأعوانه على اختلاف طوائفهم .يُذَكِّرُني هذا الموقف بالمثل العربي القديم : (رَمَتْنِي بِدَائِها وانسلَّت).

إنَّ الذي ترك غزَّةَ العَزَّة وحدَها وراحَ يصبُّ جامَ قذائفه على الشَّعب السوريُّ الحرِّ ليس سوى خادمٍ لسيِّده الأكبرَ في إسرائيل، إنَّها مقاومةٌ على الطَّريقة الإيرانيَّة المفضوحة، وإلَّا فماذا يمكننا أن نسمِّيَ رئيس دولة عربيَّة يبكي إعلامُه ليلَ نهارَ على أطفال فلسطين، في الوقت الذي تنشغل طائرات جيشِهِ الأسديِّ الممانع بإلقاء البراميل على أطفال سوريَّة وقُراها ومُدُنِها؟ أَجَلْ، إنَّه من الممْكِنِ أنْ يكون رئيس دولةٍ عربيَّةٍ، لكنَّه يقيناً غير عربيٍّ فلا بشَّرَهُ الله بخير، بَلْ بشَّرَهُ بعذابٍ أليمٍ، ثمَّ ترى بعد ذلك طبقاتٍ من الحمقى أو المخادعين أوالمُرْجِفِين يسألونكَ :لماذا قام الشَّعب السوريُّ بثورته؟ !!زاعمينَ أن سوريَّة لم يكن ينقصُها شيءٌ، ولا يدركونَ أنَّ من تنقصُه النَّخوة والكرامة والعروبة ينقصُه كلُّ شيء .نحن ما خرجنا لأنّنا كنّا جائعين يا مساطيل البطون .

لقد فَضَحَت الثَّورة السوريَّة أدعياءَ المقاومة، وفضحَتْ تجارة حافظ الأسد وبشار الأسد ونظام البعث بالقضية الفلسطينية، ونحن نقول الدَّمُ العربيُّ في سوريَّة والدَّمُ العربيُّ في فلسطين دمٌ واحد، والقاتلُ في سوريَّة وفي فلسطين واحد، ولا فرقَ بين دمشق المحتلة والقدس المحتلة، ولا فرق بين زعماء إسرائيل وعملاء إسرائيل الجالسين على خازوق السُّلطة في دمشق، إلا بمنزلة الفرق بين السَّيِّد والخادم، وبين اللصِّ والذِّئاب.

ها هو نظام حرب الرِّدةِ الذي يقوده (بشار الكذَّاب) شقيقُ مسيلمة الكذَّاب، وابنُ سبأ اليهوديِّ، وخادمُ أبي لؤلؤةَ المجوسيِّ يُفْتَضَحُ تحت شعاراتِ القوميَّة والوطنيَّة الزَّائفة، وها هي مدنُ سوريَّة تُقْصَفُ بطائرات الأسد حاملةً هدايا العيد من نظام الممانعة والمقاومة إلى أطفال الشَّعب السوريِّ الحرِّ، هذه هي مساندةُ نظام البعث في دمشق للمقاومة الفلسطينيَّة، ذلك لأنَّ أفضلَ الطُّرق لتكون قائداً ممانعاً أنْ تقتلَ شعبكَ، حتَّى باتَتْ صواريخُ الأسد الملعون تطارد أحرار السوريِّين بدلاً من مطاردة إسرائيل، وتعلن صراحةً بالأفعال أنَّها باعت العروبة بشعاراتٍ زائفةٍ، وراحَتْ تخدم مصالح إسرائيل، وها هي بالدَّليل والبرهان تتَّضحُ للجميع الوظيفةُ الحقيقيَّةُ للجيش العربيِّ السوريِّ التي كانَتْ وما زالَتْ مقتصرةً على قتل المواطنين السوريِّين وهدمِ بيوتهم، من غير مراعاة حُرمة الأطفال أو العجائز، أو مراعاة حُرمة رمضانَ أو العيد.

في العيد نحنُ الكبار نختزل أفراح العيد، فهي لدينا مؤجَّلة، نجعل بدلاً منها عبارات العيد التي نَتَناقَلُها حين كانت تتصافحُ أيادي الأحرار في عيد الفطر الأوَّل الذي مرَّ على ثورتنا السوريَّة قائلين: **(بالنَّصر إنْ شاء الله)**

ونعلم أنَّ الله وإنْ أخَّر الاستجابة في تلك السَّنوات الثلاث فذلك لحكمةٍ يَعْلَمُها جلَّ جلاله، لكنَّ لدينا من الإيمان واليقين بقبول الدُّعاء منَ الله تعالى ما يجعلنا نستبشر بالنَّصر المبين، إذْ حاشا لعدلِ الله عزَّ وجلَّ أن يتجاوز دماء المظلومين.

على طريق الحاجة أم محمود

ل.ن

تستجمع أم محمود قواها، لتلف (الغطا) كما ندعوه في قدسيا، فهي لم تعد قوية كما كانت قبل عامٍ فقط، وقبل أن تلفه جيداً على خصرها، تذكرت بصوتٍ عالٍ (نسيت أتصل بأخي أبو فايز)، وهي ليست المرة الأولى التي تنسى فيها، فطوال الشهر الكريم، لم يحدث أن اتصلت بمنزل أخيها، لتخبره بأنها قادمة لتشاركهم الإفطار.

في الطريق، تحسب أم محمود، أيام رمضان، وتفكر (صمنا كتير والله، ولسا بقيان كم يوم)، وعلى عادة المسنين، رفضت أن تفطر، رغم أوامر الطبيب، وعلى لسانها (الله أعلم إذا بعيش لرمضان الجاية)، وقبل أن تطرق الباب، تتلمس جزدانها، فقد سبق لها أن أضاعته، وفعلاً، لم تجد الحاجة، في (عبها)، ما يشي بجزدانٍ قديم، وبلا تفكير، قررت العودة إلى منزلها، بحثاً عنه.

في الطريق، مرةً أخرى، حسبت أيام رمضان، واكتشفت كم كان الشهر طويل وفي مدخل حارتها، لفتتها ألوان العصائر، على الجهة المقابلة، وبعد لمسةٍ تفقدية سريعة، تذكرت أنها نسيت جزدانها في المنزل، وعلى الدرج الأول، تذكرت من جديد (كان لازم اتصل بأبو فايز، بلكي مو عاملين حسابي عالإفطار)، وبعد ثوانٍ، بدأت الحاجّة، بحثها، وفي ذهنها العصائر في أسفل الشارع.

بعد ساعة، احتل الجزدان، مكانه، في (عب) أم محمود، وبدأت سيرها باتجاه منزل أبو فايز، وقبل أن تطرق الباب، تذكرت بائع العصير، وبحنق (ياريتني اشتريت عصير)، ومن جديد، عادت الحاجة، إلى حارتها، بحثاً عن بائع العصير، هذه المرة، وقبل أن تلقي التحية، أيقنت أم محمود أنها أضاعت جزدانها، وفي الطريق إلى منزلها، كان أبو فايز يبحث عنها، (وينك يا حجة، جاية لقلك كل عام وأنتي بخير، كل الصيام ما بينتي علينا) ، وفكرت أم محمود (ليش ايمتى بلش رمضان!!!!).

عيد الفطر.. نور المستقبل في ظلمات الحاضر

موقع منارات سورية الثورة

المسلمون يتعرضون للملاحقة والتعذيب والتشريد والحصار والقتل، قد انفرد بهم أعداؤهم، لا يملكون ما يدفعون به الأذى عن أنفسهم، أفراداً وجماعات، ولا يوجد في عالمهم وعصرهم من يمد لهم يد العون أو يأبه بهم وبما يفعل المتسلطون عليهم في أرضهم.. وسط ظلمة تلك اللحظة التاريخية الآنية،كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بوضع المسلمين في تلك البقعة الجغرافية الصغيرة في مكة المكرمة.. ولكن كان يتحدث عن أمنهم وسلامتهم ومستقبلهم.. ومن ذلك حديثه عن الراعي يمشي بغنمه بين بلدٍ وبلد في جنوب شبه الجزيرة العربية آمناً مطمئناً على نفسه. المسلمون محاصرون من كل حدبٍ وصوب، قد تحالف أعداؤهم ,,الإقليميون'' وتجهزوا للقتال وأقبلوا بعددهم وعتادهم للتربص بالقلة المؤمنة المحاصرة، ينتظرون اللحظة الحاسمة لاقتحام الخندق حول المدينة المنورة، وفيها من وراء المسلمين منافقون ويهود يكيدون كيدهم، وليس لدى المسلمين من الأسباب ,,المادية'' ما يبيح لهم الحديث عما نسميه ,, بصيص أمل'' للتخلص من الأحزاب.. وسط ظلمة تلك اللحظة التاريخية الآنية،كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بوضع المسلمين في تلك البقعة الجغرافية الصغيرة في المدينة المنورة.. ولكن كان يتحدث عن أمنهم وسلامتهم ومستقبلهم وفتوحاتهم حتى ينتشر هدي الإسلام في بلاد كسرى وهرقل آنذاك .. هذا ما يسري أيضاً على الكلمة النبوية التي خلدها القرآن الكريم وهو يذكّر صاحبه أن الله معنا.. وهاهم المسلمون في غزوة أحد يخاطبهم الله جل وعلا بأنهم ,,الأعلون'' إن كانوا مؤمنين، وينبههم إلى أخطائهم وسبيل الخروج منها، وهاهم في غزوة حنين يلومهم على إعجابهم بكثرتهم ولا يحرمهم من النصر يأتيهم عبر صبر فئةٍ منهم في الميدان وثباتها على أداء ما عليها.. يا أيها الفلسطينيون والسوريون والمصريون والعراقيون.. يا جميع العرب والمسلمين في كل مكان.. لا بد لمن يرى قطع الليل المظلم تحيط به من كل جانب، أن يرى بعين بصيرته إشراقة الفجر بعد الليل البهيم، أن يرى أن هذا الطريق الذي سلكته إرادة الشعوب ثورة على محتل أجنبي ومستبد محلي وكيد إقليمي ومكر دولي، هو الطريق الواصل إلى ,,الغد''.. إلى المستقبل، إلى الخلاص من الاحتلال والاستبداد ورد كيد الكائدين ومكر الماكرين، ومواصلة حمل رسالة الخير والهدى للإنسان.. جنس الإنسان في عالمنا وعصرنا. . . لنتأمل ببصيرتنا وبصرنا.. أننا نعايش هذه الأيام ,,العصف المأكول'' في غزة العزة.. وليس ,,دير ياسين'' وأخواتها.. أننا نعايش صمود الرافضين للانقلاب على ثورتهم في مصر الكنانة، وليس الملايين هائمة وراء زعيم من الزعماء أياً كان.. أننا نعايش في سورية الأبية انتكاسة ثورة قادرة على الوقوف ومتابعة الطريق من جديد أقوى مما كانت عليه، وليس قعوداً عن كل تحرك وتجنباً لكل همسة وخنوعاً لحقارة كل همجي صغير، كما كان بالأمس القريب.. أننا نعايش هذه الأيام شعوباً تحركت في مواجهة الاستبداد وحلفائه.. وليس شعوباً استكانت غافلةً عن حقيقة ورثة الاستعمار لترسيخ ما خلف من تجزئة وتخلف.. أننا نعايش هذه الأيام إنساناً يولد من جديد في أرضنا، ليصنع مستقبل أطفالنا.. نرى ما نعايشه بأنفسنا.. ولا نغفل عن أن الطريق ممتدة مثلما امتدت ما بين ,,أحد.. أحد'' على لسان بلال رضي الله عنه في بطحاء مكة، وبين انتشار الإسلام ما بين المحيطات الثلاث من تخوم الصين إلى قلب الأندلس قبل أن ينقضي القرن الأول للهجرة.. وما كان قرن ,,المعاناة'' الدائمة بكل أشكالها، بل كان قرن التغلب على المعاناة في مهدها والانطلاق إلى محطة عمل وبناء بعد أخرى ، حتى أصبح الواقع القائم شاهداً على ما تعنيه كلمات ,,البصيرة النبوية'' وهي تستشرف من وراء ظلمات ظروف الحقبة الأولى في مكة والمدينة مستقبل ,, المسيرة'' المنطلقة من قبل الهجرة وما سبّبها إلى ما بعد الخندق وما تحقق من فتح بعدها. . . يا أيها المسلمون.. يجب أن نوقد في عيد الفطر المبارك هذه الأيام تلك الشعلة المستقبلية لقادم الأيام.. الشعلة التي نراها ببصيرة يقيننا وأعمق أعماق اقتناعاتنا. يجب أن يرى أطفالنا العيد على حقيقته.. أن يروه من خلالنا، من خلال إحساسنا الصادق وكلماتنا الواعية وعملنا المتواصل، أن يبصروا معنا النور من وراء الظلمات.. ولن نتوقف قبل الوصول إليه، ويبصروا معنا النصر مقبلاً من وراء النكسات والأخطاء والانحرافات ولن نتردد عن مواجهتها ومتابعة الطريق عاملين ثابتين صابرين مصابرين. نعاهد الله على ذلك.. نعاهد أمتنا على ذلك.. نعاهد الأوطان المعتقلة على ذلك.. نعاهد الإنسان على استعادة الأوضاع الإنسانية كما ينبغي أن تكون في عالمنا وعصرنا.

جيش موحد لاستعادة الثورة..؟!!

في مقالةٍ للباحث "حمزة مصطفى" نشرتها قبل أسابيع مجلة العربي الجديد بعنوان ''نعم لجيشٍ موحدٍ لاستعادة الثورة'' أكد فيها الباحث أن الثورة السورية قد انتهت، ثم دعا تأسيساً على ذلك، وانطلاقاً من حملةٍ يقودها اليوم بعض ''النشطاء'' إلى تبني فكرة جيشٍ موحدٍ لاستعادة الثورة.

الباحث "حمزة مصطفى" استعرض في مقالته بشكلٍ جميلٍ ودقيقٍ مراحل الثورة السورية، والتطورات التي أصابتها والمنعرجات التي دخلت فيها، وكان قد أكد في مطلعها أن القول اليوم بوجود الثورة، واستمرارها، وحتمية انتصارها لا يعدو كونه كلاماً عاطفياً لا يجد له ما يدعمه ويسنده في أرض الواقع، وهو قد خلص أيضاً إلى التقرير بانتهاء النظام وتحوله إلى ميليشيا، ودعا في نهايتها وبما يوحي برغبة الكاتب بإعطاء دفعة تشجيع وأملٍ لأولئك الذين آمنوا يوماً بها، والذين لا زالوا مستمرين في نضالهم ضد النظام، وخصوصاً الذين يتعرضون للقمع والتنكيل داخل البلاد، إلى إنشاء جيشٍ موحدٍ ليستعيد الثورة.

والسؤال الآن هو: هل ما خلص إليه الكاتب "مصطفى" في تلك المقالة صحيحٌ ؟ وهل يمكن لجيشٍ موحدٍ أن يستعيد الثورة ؟

يستند القائلون بانتهاء الثورة السورية عموماً إلى عدة معطياتٍ لإثبات فرضياتهم بانتهائها، ويمكن أن نتعرض بشيءٍ من الإيجاز لبعضها، مثلاً:

عجز الثورة حتى الآن وبعد مرور أكثر من ثلاثةٍ أعوامٍ على انطلاقها عن إسقاط النظام.

عجز الثورة عن إقامة نظامٍ سياسيٍ ـ اجتماعيٍ بديلٍ في المناطق التي خضعت لسيطرتها، وفشل المؤسسات السياسية والعسكرية الثورية المعارضة، وتهافت النظم والهياكل البديلة وتردي النماذج السلوكية التي سادت في المناطق المحررة.

تدخل أطرافٍ خارجيةٍ أهمها ''حالش'' وأشياعه من جهةٍ، و''داعش'' وأشباهها من جهةٍ أخرى، وتدخلات الدول الكبرى والإقليمية في الثورة السورية بشكلٍ أدى لتحويلها إلى نزاعٍ دوليٍ على النفوذ والمصالح، وانحدر بها إلى مصاف حربٍ أهليةٍ داخليةٍ، وحربٍ إقليميةٍ ـ طائفيةٍ.

حسناً، لن ننكر أن المعطيات المذكورةَ أنفاً وغيرها والتي استند إليها الصديق "مصطفى" في مقالته هي حقائق مقبولة، لكن مقولة انتهاء الثورة سبقت المقالة المذكورة وعلى لسان عدة ''نشطاء'' و ''معارضين'' وكان ذلك عندما تراجع زخم وحضور المظاهر السلمية المدنية، ومنذ بدأ الثوار يتوسلون السلاح أداةً رئيسةً لإسقاط النظام، فقد اعتبر أولئك أن التسليح سيفضي إلى القضاء على الثورة بناءاً على تصوراتٍ وتعريفاتٍ ''معلبةٍ'' للثورات على أنها حراكٌ سلميٌ مدنيٌ ''مثاليٌ'' محضٍ..! والحقيقة أن تلك التصورات موجودةٌ في المدونات والدراسات السياسية النظرية أكثر منها في الواقع، أو يمكن أن تنطبق على بلدانٍ تختلف في بنى وتراكيب أنظمتها وظروف شعوبها التاريخية، والاجتماعية، والسياسية عما هو قائمٌ في دولنا العربية، وقد تكون الثورات الملونة في شرق أوروبا وغيرها، مثالاً قريباً على ذلك.

لكن القول أن ما جرى في سوريا لم يكن ثورةً أو أنها انتهت أمرٌ فيه نظرٌ باعتقادنا، فعدم التطابق بين تصوراتنا ورغباتنا وبين الواقع لا يجب أن يؤدي بنا إلى إنكار الواقع أو تجاوزه، وكان الأجدر ربما البحث عن السبب الحقيقي الذي يقف خلف عدم التطابق ذاك، هل هو في الخطاب المستعمل لتوصيف الواقع، أم الأدوات المستخدمة لتحليل وتفكيك عناصره، أم طريقة نظرنا إليه ؟

وهنا نسأل هل تداعت ثنائية (ثورة/نظام) حقاً ؟ وألا يعني سقوطها هزيمةً للشعب ؟

أولاً، لا بد من الإقرار بأن القطع بفرضياتٍ نهائيةٍ في الوقت الذي لا زالت فيه الأحداث تتفاعل والوقائع تتحرك وتتبدل سيؤدي بنا إلى نتائج غير صحيحةٍ، ثانياً، إن انتفاضات الشعوب لا تقاس بإنجازاتها فقط للتقرير بأنها ثوراتٌ أم لا، وعليه فإن عدم بلوغ الأهداف المنشودة حتى الآن من انتفاضة الشعب السوري لا ينفي طبيعتها الثورية، ولا طابعها النضالي الأصيل، ولا يؤدي أيضاً إلى القطع بانتهائها، كما أن فشل المؤسسات المعارضة السياسية والعسكرية في تنظيم وقيادة الحراك الشعبي وإيصاله إلى الغايات المرجوة لا يعني إلا فشل تلك المؤسسات ومن قام عليها، دون أن يعني نهايةً للثورة في ذاتها، أما عجز الثوار عن إقامة نظامٍ بديلٍ في المناطق المحررة، وقصور الهياكل والبنى المستحدثة عن أداء واجباتها، وتلبية احتياجات السكان في فرض السلطة، ضبط الأمن، وتحقيق العدل، وتأمين الموارد، وغيرها، لا يعني أيضاً فشل الثورة أو انتهائها، ولعل في معرفة الأسباب التي تقف خلف ذلك القصور ما يؤكد فرضيتنا، فالمناطق المحررة في الواقع هي مناطق حرب وأماكن اشتباكاتٍ دائمةٍ، واللغة السائدة فيها هي لغة القتال، والمنطق الذي يحكم حياة الموجودين فيها هو منطق السلاح، أما الفاعلون فيها فهم المسلحون بشكلٍ أساسيٍ، وتلك المناطق معرضةٌ بشكل دائمٍ للقصف والتدمير وهي مهددةٌ بالاقتحامات المتجددة، هذا فضلاً عن أن قاطنيها وثوارها يختبرون ولأول مرة حالة ''التحرر'' مترافقةً بحالةٍ من ''الفراغ'' العام على مختلف الأصعدة والمستويات، وهم بالتالي أمام وضعٍ جديدٍ لم يكونوا قد استعدوا له وكان لزاماً عليهم بالتالي اللجوء لخوض المحاولات والتجارب ومن الطبيعي ألا ينجح بعضها من أول مرةٍ، وخصوصاً عندما يقوم بها المسلحون وبعض رجال الدين وحدهم، فالكثير منهم ينقصه الوعي والمعرفة الكافية وتحرك آخرين منهم نزعاتهم لبسط سلطانهم وفرض مشاريعهم المصلحية الخاصة، في ظل انكفاء الكثير من ''النشطاء المدنيين'' عن أداء أدوارهم والقيام بواجباتهم، وتفضيل العديد منهم هجرة البلاد بذرائع مختلفةٍ وحتى قبل أن تلاحقهم التنظيمات ''المتطرفة'' وتضطهدهم، هذا عدا عن تبدل الأولويات العامة اليوم فلم تعد المدنية والديمقراطية مهمةً بقدر سعي الناس للبقاء على قيد الحياة والصمود في وجه الموت، كما أن الاعتماد الكبير على الداعمين الخارجيين والارتباط بهم، بالتوازي مع مساعي فرض المشاريع والأجندات الفئوية أدى إلى تعميم حالة التنازع والفوضى والتخبط، وتهافت البنى والمؤسسات وآليات العمل البديلة، وزاد ضعف وهزالة أداء مؤسسات المعارضة السياسية والعسكرية، وتدخل الأطراف الخارجية والدول الصديقة الوضع سوءاً.

أما تورط ''حالش'' وحلفائه، وتقدم ''داعش'' في العراق، وشرق وشمال سوريا، فهي وإن غيرت بعض ملامح المشهد، إلا أنها لم تغير من طبيعة الصراع، ولا من جذوره الأولى. وهذا ما سيقودنا إلى تفكيك فرضية تحول النظام إلى ''ميليشيا''، فالنظام أساساً كان ''ميليشيا''، وهذا سببٌ للثورة

وليس نتيجةً. لنتذكر أن مصطلح ''شبيحة'' لم يظهر أول مرةٍ أثناء الثورة السورية عام 2011، ف''الشبيحة'' ظهروا في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، أما ''التشبيح'' فقد أُعتمد كأداةٍ سياسيةٍ في إدارة السلطة، وفي التصدي لكل الأزمات التي واجهتها، فبواسطتها قُمعت انتفاضة حماة ودمشق عام 1964، وعبرها حُسمت المواجهة الداخلية بين جناحي الحزب في شباط 1966، وبها انقلب "حافظ الأسد" على "صلاح جديد" عام 1970، وبها أيضاً واجهت تلك الطغمة أحداث العام 1982، وكان أن استخدمتها في لبنان خلال فترة احتلاله حتى العام 2005، ليرثها ''حزب الله'' ويعممها بدوره منذ أيار 2008.

(النظام) السوري بالأساس يقوم على بنيةٍ ''ميليشياويةٍ'' تستند إلى عصبيةٍ عائليةٍ، طائفيةٍ، أمنيةٍ، وفي كل مرةٍ واجه فيها خطراً كانت تسقط قشرته الخارجية، لتطفو دولته العميقة إلى السطح ويتمظهر حضورها ''التشبيحي''، ولذلك كان من الطبيعي لتلك ''الميليشيا'' أن تعقد تحالفاتٍ وظيفيةٍ مع ميليشياتٍ متعددة الانتماءات، وأن تستدعيها عند اشتداد المواجهة، ومن الطبيعي أيضاً أن تولد وتنشأ في ذات السياق مليشياتٍ أخرى مضادةً لها أو ربما متقاطعة معها، ولذلك كان من الطبيعي أيضاً أن تندلع ثورة شعبية ضد حكم ''الميليشيا'' وأن تتحول بالضرورة إلى انتفاضةٍ مسلحةٍ. وجميع تلك ''الميليشيات'' الموجودة الآن، ابتداءً من ميليشيا النظام، إلى ميليشيا حزب الله، إلى ميليشيا داعش، إلى العديد من مليشيات الإسلاميين، والكثير من ميليشيات الجيش الحر، وأكثر من ميليشيات اللصوص والمهربين والعملاء والقتلة، لا تتحارب فيما بينها بقدر ما تخوض جميعها حرباً على الشعب، كل منها من منطلقاته ولأسبابه وغاياته.

وعليه لم يعد مهماً مناقشة ثنائية (ثورة/نظام)، بقدر ما هو مهمٌ أكثر حضور وفاعلية ثنائياتٍ أخرى كثنائية (حرب تحرير/احتلال داخلي)، (حرب استقلال/احتلال خارجي)، وثنائية (وطن جديد/استبداد متجدد)، وثنائية (حياة/موت).

وإن كان الأمر كذلك وكي لا يُهزم الشعب فإن جيشاً موحداً سيكون مطلوباً لترجيح الطرف الإيجابي في تلك الثنائيات، بدل السعي إلى محاولة استعادة زمنٍ حمل فيه المتظاهرون السلميون ورودهم وصدحوا بأناشيدهم، فاستشهد بعضهم، واعتقل بعضهم، وتخلى الآخرون، فيما لا زالت قلةٌ تُصر على المضي بنضالها إلى منتهاه الأخير.

قلم للثورة.. وآخر للحب

الجرأةُ في وقتٍ ما أن تكتب عباراتٍ على وريقاتٍ لحبيبة... تعبر فيها نحو فؤادها كأنما تعبر فوق جسرٍ خطرٍ وتلقي عند نهايته جميع مشاعرك، تصرخ... تهمس أحياناً، مجترأً على جميع التقاليد والحصون بل محطماً للقيود، يومها تنفث في الفضاء ويرتفع صدرك... تزداد دقات القلب سرعةً... لابأس بالقليل من التوتر أو الخوف... الرهبة في بعض المناطق حالةٌ فطريةٌ طبيعية... فجأةً تزداد الجرأة ويتحول الصراع الداخلي إلى منغومةٍ رقيقة... وتعتلي صهوة قلم ... تشرع في صياغة الحروف، ما فائدة الحروف؟ سؤالٌ خطيرٌ يداهم تفكيرك... ما فائدة الحروف بلا غاية، بلا حبيبة ترتمي الكلمات في أحضانها؟ ليس المهم أن تكتب لها، المهم أن تعرف ماذا تقول، ومتى تقول، بل كيف تقول... تتحول ههنا الجرأة إلى خوف... ترتعش ...تبرد أطرافك، ربما تصاب بدوار الحب، دوار الحب ليس كدوار البحر، لكنه يشبهه في بعض الأحيان، إذا ما تخيلت نفسك في بحار الحب... بحار !!؟ كلمةٌ أتت بالجمع، فالقلم في دوامةٍ عنيفة، والموج عالٍ وهناك ترتسم ملامح شطٍّ واسع، شواطئ... جميع الكلمات اليوم بالجمع... ربما لأن القلم توحد في داخلي فصار أداةً للتعبير عن عواطفي، يقرأ ذاك المنولوج... يحوله إلى عبـــــارات...عبـــــارات اشـــــتياق... عبـــــارات تحـــــدٍ، وأخـــــرى للـــــرفض!!

الجرأةُ أن ترفض في وقتٍ منع فيه الرفض، وعُدّ تمرداً... لكن القلم أصبح اليوم أمام ثنائيةٍ جميلة، بين رفضٍ وإرادة... الرفض للظلم ثورة... والإرادة للوطن حب... الاشتياق لأميرةٍ سمراء رغبةٌ في الانعتاق من كل قيد... الثنائية هنا أن تعبر بحروفك نحو وطنٍ وحبيبة... أن تكتب لكلاهما في آنٍ واحد... قلمٌ للثورة على منظومة الفساد التي عاثت تخريباً في جسد دمشق، وآخر يترجم عواطفك... حتماً لأن العواطف لا يمكن أن نمتلكها تمتزج بين اللذةِ والألم والأمل، وذلك إذا امتلأ حبر فؤادك للحبيبتين... لم تعد لحظتها بحاجةٍ للتخفي وراء الكلمات والتواري خلف السطور والجمل... يبدو أن قلماً يصبح كصهوة فرسٍ تمتطيه ...تجرد الأفكار والرغبة في التغيير كأنما تشهر سلاحك... أنت الآن فارس بلا منازع .... لا تحتاج إلى درع... الدرع قيد في بعض الأحيان... درعك الوحيد إيمانك بانتصار الكلمة والحق... ايمانك بمن تحب... بالنصر .... والباب اليوم مواربٌ على انتصار القلم ... والرهان على انتماء الثورة للحب، والحب للثورة، فلا تحيا واحدةٌ بلا الأخرى... فالحب أول بابٍ للدخول إلى الثورة... كما أن القلم مفتاح الولوج إلى التغيير... وطريق العبور ...وريشةٌ ترسم ملامح الجمال... تحدد معالمه.. كما حدد القلم وبعض العبارات على الحائط ملامح دمشق، وفتح باب الحرية...؟!! فلا أبواب تقف عائقاً في وجه الأقلام المغموسة بحبر القلب... الملتهبة بعبق العواطف... المتأججة بماء الأفكار والأخلاق والمبادئ.... وجميعها تصب في معاني الحب والثورة. حتماً في لحظةٍ ما يتوحد القلمان... فأنت تكتب للحب والثورة بلا فواصل ...بلا حدودٍ ... بلا خوف... ومتى عرف القلم طعم الخوف.... متى عرف الفكر المترجم على الأوراق الوهن...؟ سؤالاتٌ فسرها التاريخ... وسطرها القلم ...وجراحاتٌ يكتبها قلم للعبرة... وأملٌ من قريب يلوح لنا ويرسمه قلم... يكتب التاريخ ويصنع المستقبل...!! قطعاً يستحق أن تهابه الجبابرة...؟!! وبلا عجب.

من سرق فرحة العيد

يفتحُ بابُ المنزل بهدوء ويدخلُ خِلسةً يقصدُ المطبخ، هو يدري بأنَّ والدته غالباً ما تكونُ هناك فهي تقوم بتحضير حلوى العيد، لم يخلع نعليه فورَ دخولِهِ المنزل يريدُ أنّ يصلَ إلى والدته دونَ أنّ تشعر به أنّهُ قد أتى، طقسٌ من الطقوسِ الصبيانيةِ والمجنونة ربما... ! كثيراً ما كان يمارسهُ قبلَ أنّ يدخل عامهُ السادس والعشرين، يقتربُ من أمهِ فيرنو إليها عن كثبٍ ويستغلُّ أيّ موقف تكون منشغلةً فيه ليصدر صوتاً عالياً يرعبُ به والدته، هو لا يدري ما الفائدة التي سيجنيها بفعلته الطفولية هذه لكنهُ أحبّها واعتاد عليها طيلة السنوات الماضية، تخاف أمهُ قليلاً وتُلقي بكلماتٍ لا تكادُ تُفهم يقفُ بعيداً عنها وهو يضحك، لأنّ في هذه اللحظات لو أمسكته ربما ستضربهُ... من يدري؟ لكن سرعان ما يُطمئنها بأنّه ليس لص العيد الذي اقتحم المنزل، ثم يضحكان سوياً، (لصُ العيدِ هذا مقولةُ أمهِ الشهيرة حينما كان صغيراً، تقول له في وقفة كل عيد: أحبئ ثيابك الجديدة يا سعيد ربما أتاك حرامي العيد وسرقك، الطفل يصدّق فيقوم بجمع كلّ ما قد اشتراهُ سابقاً و يجعلهم في فراشهِ لينام معهم جنباً إلى جنب خوفاً من لص العيد هذا، وكثيراً ما كان يعاركُ لص العيد في منامه من كثرة هوسه به).

لكنّ اليوم ثمةَ شيءٌ غريبٌ قد حدث معه قبل أن يصل المطبخ... في ردهةِ المنزل تحديداً اشتمَ رائحةَ القهوة المرَّة التي أعدتها والدته لضيافةِ العيد، ثمةَ لهذه القهوة ميزةٌ خاصةٌ فرائحتها تعمُّ أرجاءَ المنزل في وقت التحضير ولها مذاقٌ لذيذٌ أيضاً، فتخيلَ نفسه في مأتمِ عزاء، ربما ذكّرته بذات الرائحة التي كانت بعزاءِ ابن عمه الشاب الذي توفي قبل أشهر، هزَّ رأسهُ ليبعد هذه الفكرة عن مخيلته تماماً، هو لا يريد لأيّ شيءٍ أن يعكّرَ صفو العيد وبهجة هذه المناسبة ، لكنّه أردفَ قائلاً: وأي مناسبةٍ هذه والبلد في دمار والشعب منهار والقلوب حزينة، اقترب من باب المطبخ بهدوء وهو يسمع تمتمةً خافتةً من أُمه ظنها قد علمت بدخوله، اقترب أكثر فسمعها تنشدُ مقطعاً من أغنيةٍ راجت كثيراً في سلمية المظاهرات في الثورة ولها أثرٌ كبيرٌ في نفوسِ من يسمعها وهي تقول: (يا يُماه ب توب العيد ..... زفّيني جيتك شهيد يا يُماه).

وينتهي المقطعُ وتعودُ لتكرارهِ أكثر من مرة، وهو ينظرُ بدهشةٍ بدت واضحةً على وجهه ثمّ سكنت حركته تماماً ولم يتلفّظ بكلمةٍ واحدةٍ، وعجلةُ الزمانِ توقفت عن دورانها في هذه اللحظات وسرح بمخيلته إلى تلك السنوات الثلاث التي قضاها في الثورة، فعلاً إنها حربٌ ضروس أكلتْ الأخضر واليابس، فيها استشهد الكثير من الشباب والأطفال، والناس تهجّرت من ديارها وحالةٌ صعبةٌ يرثى لها، قد لاحت على وجهه معالم التعب والارهاق وهو يقف كالدمية بلا حراك، وشريط الحرب الذي مرَّ سريعاً لازال يُعرضُ في الذاكرة، بعدها بقليل وإذا بيدٍ تمتدُّ إلى كتفه ترعبه كثيراً وتقطع حالة الشرود بشكلٍ مفاجئ هي أمه ترفعُ صوتها بوجهه و تقولُ بلهجة التوبيخ :" ليش فايت بكندرتك ع صدر البيت" تُبدد بصوتها الصاخب غيمةَ الحزنِ التي رُسمتْ على وجهه آنفاً، يخافُ من أمه قليلاً عند الوهلة الاولى ثمَّ ينظرُ إلى تقاسيم وجهها الذي بانت عليه معالمُ الكبرِ واضحةً وجليةً، فالشيبُ قد بدأ يغزو شعرها، عشرون عاماً قد مضت وهو يدخلُ هكذا ليرعبها في كل عيدٍ يأتي لكنّ في هذه المرة هو من وقع في شركِ الخدعة التي حاكها لوالدته ، تبتسمُ قليلاً فيصطنعُ ضحكةً ليخفي ورائها شريط الذكريات الذي كان قد مر بذاكرته ثم يقول :"الله يلعن الأسد ويلعن مجازرو من وراه ارتعبت من أمي وكنت أنا يلي بدي رعبها" ثم يطأطأ رأسهُ بخجلٍ مع ابتسامة يزرعها قبل أن يضحك من نفسه ويقبّل يدها ويقول: "كل عام و أنت بخير يا ست الحبايب" .

وحده قلبي

وحده قلبي

يصارع برد غربته

ويحيا على دفء الذكريات...

وحده قلبي

وفي كومة القش

يبحث عن وطنٍ أضاعه ... وضيّعه....

وحده قلبي

يعيش الجنون وينتشي بالأمنياتْ

وحده يشتعل في لهيب الذكرياتْ

لكنما سرعان ما ينطفي في بلاد الترهاتْ

وحده قلبي

حبيس انتماءٍ يغني (البلاد) و (موطني)

يبحر على قاربٍ من رجاءْ ...

وحده يرسو على شاطئ من هباءْ

وحده قلبي

يمتطي صهوة الأحلامْ

يغذ الأماني لوهج اللقاءِ الودودْ

يفتح ذراعيه حالماً ..

فتصفعه الحدود

فارس الثورة «أبو فراس»

تبدأ الثورة السورية وتدخل حسابات الجميع، الكل يحسب بناءً على الوضع الذي فرضته الثورة ثم يختار جانباً من الجوانب يركن إليه . يختلف المشهد السوري بين مؤيد ومؤيد بشدة وبين معارض ومعارض بشدة، ثم تأخذ منحى العسكرة والقتال فتعاد حسابات الكثيرين منا ويعاد المشهد مرة أخرى .

الأمر الذي لا مفر منه أن التاريخ يُكتب بريشة المنتصر في النهاية إما أن تخلد كأعظم ثورة عُرفت وتُسطر أسماء شهدائها بماء الذهب في كل قرية وكل بلدة ومدينة، أو أن تكون تلك المؤامرة الكونية التي تم سحقها رغم كل ما قدم لها من تسهيلات وخطط ودعم لتكسر جدار الممانعة " المزعوم " ولكن.. كان مصيرها الفشل .

يعيش ذلك الشاب في مدينة قدسيا يخرج يوماً من صلاة الجمعة ويعود ليتابع الأخبار فقد كانت بعض الدول العربية تشهد ما هو غير مألوف لنا ففي بعضها تم تغيير رأس هرم السلطة ـ أي لنا بذلك ـ .. المهم، لم تعد أشلاء الفلسطينيين تتصدر الواجهة ولم يعد الصهيوني الجندي الأسود الوحيد على الرقعة فقد تبين لاحقا أن معمر القذافي له دور كبير فيها لعله يحظى بمنزلة " الفيل " أو حتى قلعة . درعا ؟؟ أي درعا مظاهرات ؟؟ أيام قليلة وتخرج من العمري مجموعة من الشبان يرقبها بعينيه .

حرية .. وينفض الجمع .

كان همه الأكبر لدى عودته إلى منزله هو فهم ما يجري، الصور التي تعرض في شاشات التلفزة ليست من كوكب آخر والأمر لا يحتمل موقف المتفرج، إما خير فأكون من أهله أو شر وجب ردعه..

أيام قليلة كانت كافية لإخراج الحيرة من فؤاده، أي ذنب أقترفه هؤلاء ليقابلوا بتلك الغلظة، فرقوهم كما تفرق البهائم بل بطريقة أضل وأوقدت طريقتهم بضرب محمد ناراً ألهبت فلبه وأحشاءه .

فانتدب نفسه مع مجموعة أخرى لحماية المظاهرة، عمره قارب الثانية والثلاثين وقد أوتي بسطة في الجسم والأمر الأهم أنها ثورة فتلك الحيرة ذهبت أدراج الريح.

اليوم تحولت أقدار الشاب لعل اسمه الأكثر ذكراً في المدينة بعضهم ينظر له باحترام شديد على أنه القائد الأوحد للمدينة وهو اليد الحديدية للثورة فيها، ألا تكفي تلك العبوة التي زرعت في سيارته .. ألم يقوموا باستهداف مقره دون غيره، ألا يزال النظام يئن من أفعاله الكثيرة، بداية شارك بالاستيلاء على السرية /91/ التابعة للفرقة /14/ وتم اغتنامها بشكل كامل ـ لعلها كانت نقطة تحول في ثورة المنطقة ـ وفي الثانية كان لمشاركته في كمين بلدة الهامة الأثر القوي وفي محصلته لم تعد البلدتان مرتعاً للجند والشبيحة يضاف إلى ذلك أنه من أوائل حملة السلاح في البلدة.

الأمر الآن في يديه عليه أن يحمي تلك البلدة فهو المسؤول العسكري فيها وعلمته الحرب أنها إعداد قبل كل شيء والمعركة القادمة ستكون القاضية . إذا ليقال ما يقال " لص" فليكن " قاتل " وأي ثورة بلا مخالب، ومن غيري سيحمل الهم ؟؟.

تمضي أيامه وقد عقد عزمه على هدفه يحاول ويثابر لم تكن تلك المسيرة خالية من الأخطاء كما يزعم البعض ولكن الواقع لا يتطابق بنسبة كبيرة مع ما يروون.

لم يعرف الجميع " أبو فراس عباس " وحتى لم يعرفوا أن اسمه "محمد " لكنه كان حديث الجميع في معظم أحواله فمرة فعل ومرة قتل ومرة سرق ومرة قُصف وفي أخرى حاولوا اغتياله ....

لعله لم يكن يهتم بكل ذلك ففي الدائرة الخاصة حوله كان بساماً لطيف المعشر يعامل شبان مجموعته على أنه واحد منهم يسامرهم يلعب معهم ويخاصمهم وفي كل مرة عليه واجب صنع الطعام لهم .

يطرق أبواب الخير ما وجد لذلك سبيلاً فكثيراً ما آوى عائلة بلا مسكن وفرض على نفسه مرتباً شهريا لها .أو سعى في حاجة غريب حتى يقضيها

لم يكن الأمر متوقفاً على أبو فراس فالثورة في سنتها الثالثة ولا زالت محل جدل وبطبيعة الحال ستكون أعماله موطن استهجان وسخط من البعض وتقدير واحترام من آخرين.

من منا يعلم متى تكون النهاية، لم تكن المشكلة لتقع أصلاً لكنها وقعت ولابد لها من حل، لعله قريب .. يحدوه ذاك الأمل توجه أبو فراس إلى موعده والذي كان الأخير فقد كان المسرح معداً للإجهاز على حياته بدلالة مقتله برفقه زميله في الجهاد "زياد غزال" على تلك الخشبة نفسها.

" الشهيد " لن يكون وصفه يتلك الكلمة بذي بالٍ لدى أبو فراس الآن فهو في جوار رب كريم هو أعلم بحاله، كحال كل من سبقنا إلى رحمة الله، لعل كلمة مخطئ أو مصيب في حياته من ناصح أمين كانت لتجزي عنه شيئاً .

" قُتل ظلماً " أجده الوصف الأدق لوجه من وجوه الثورة في المدينة والنجم في عدة مراحل فيها عمل وقدم وكان نتاجه فيها مختلفاً عليه، لكن ذلك ليس غريباً ربما فالحراك بمجمله أصبح في كثير من المحطات كذلك، وما يعنينا اليوم أكثر هو تقرير شيء أساسي، هو: أن الثورة قضية عادلة محقة، لكن الثورة يقوم بها الناس، والناس ليسوا ملائكة بالطبع، ستتنازع في دواخلهم أهوائهم وغاياتهم ومصالحهم، وتقديراتهم المختلفة للأمور، ولن يعني ذلك بالتأكيد أنها لم تكن ثورة، ولا أن عمل وسعي شبابها لا يؤهلهم ليسموا ثواراً، وإن كان الأمر كذلك فلا نحسب أنه كانت هناك ثورة عبر التاريخ.